رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس

Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت
ص.ب. ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

العدد السادس
حزيران (يونيه) ١٩٥٧
السنة الخامسة

No. 6. Juin 1957
5ème année

عائد من مصر

بقلم رئيف خوري

اذا كان عربي ، أيا كان وطنه الخاص سوريا او العراق او الجزيرة العربية او فلسطين وشرقي الاردن او السودان واقطار المغرب الافريقي ، مطالبا بحب مصر ونصرة مصر ، فان كل لبناني مطالب باكثر من ذلك : ان تجري مصر في دمه وان يكون ابتسام مصر ابتسامه وجرح مصر جرحه . ذلك بان مصر قد كانت للبنان وطنا مكملا . ولن التمس الدليل الا من تلك العبقريات التي نبتت في لبنان ثم لم تجد في ايام القحط العثماني ارضا خصبة تفر اليها من الجفاف والخنق الا ارض مصر حيث امكنها ان تزهر في جو سمح حر وان تعطي عطاءها الكريم من الثمر . لن التمس الدليل الا من ابراهيم اليازجي وصروف وزيدان والشميل ومي ومطران والجميل وكثرة سواهم لا يحيط بها حصر . فاذا كان لبنان وطنا راسماله الفكر والادب ، فان اقبح شيء به ان يتنكر لمصر ، لانه ساعتئذ لا يتنكر لمصر وحدها وانما يتنكر لنفسه ايضا . اقول هذا وانا اعلم ان سيسيء فهمي نفر لا يفطنون الى العزة اللبنانية الا حين يتصورون ان مستها مصر، أو سوريا، يؤثرون ان يكونوا عبيدا مع الاجنبي المستعمر على ان يكونوا سادة احرارا في وطنهم مع آخوانهم .

لقد ذهبت الى مصر في اواسط نيسان وقضيت فيها الشطر الثاني من شهر نيسان كله ، وهمي ان القي بضع محاضرات كلفني القاءها معهد الدراسات العربية العالية التابع للجامعة العربية، اتخذت موضوعها نفرا من اللبنانيين كانوا رواد تجديد وابتكار في الادب العربي الحديث امثال المعلم بطرس البستاني الذي حاول اخراج اول دائرة عربية للمعارف ، وظاهر خير الله الشويري الذي اقدم على اجتهاد جديد في فقه اللغة احياءً لها ، والدكتور شبلي الشميل الذي دعا للعلم وحاول تحرير البحث العلمي من النظريات الغيبية .

ذلك كان همي الاول ، فاما الهم الاخر فقد كان ان اعرف مصر من كثب ، وطبيعة التجربة الجديدة في مصر ، وواقع هذه التجربة وما يكمن وراءها من امكانات .

وكان كثيرا هذا الذي سمعته عن مصر منذ ان قام فيها الحكم الجديد ، ومنذ ان أممت فيها القناة ، ومنذ ان جن لذلك جنون المستعمرين فكادوا لمصر الكيد الذي ارتد في نحرهم .

سمعت ان مصر تنتهج سياسة تمييز ديني بين المصريين فتحابي المسلم لمجرد انه مسلم ، وتنتقص من حقوق المسيحي لمجرد انه مسيحي

وسمعت ان مصر قد تغيرت على لبنان واصبح صدرها ضيقا باللبنانيين ، وان حكام مصر قد انجرفوا انجرافا في تيار الشيوعية ، وان المعارضة لحكام مصر تقوى وتشتد في صفوف الشعب المصري الذي يشاهد انهيار كل شيء حوله ولكن الديكتاتورية تقمع معارضة الشعب المصري قمعا .

هذا بعض ما كنت قد سمعته عن مصر ، وهذا بعض ما جعلت وكدي ان استوضحه واخلص فيه الى جواب بسيط ..

ليس ادعى الى « القرف » ـ عفوا ! لا اجد كلمة غيرها تفي بالمعنى ـ من اولئك الذين يشيعون ان مصر تنتهج سياسة تمييز ديني . فقد طفت في القاهرة في احياء شعبية لا يعرفني فيها احد ، وانا لا اتكلم اللهجة العربية المصرية ، ولي اسم يعلن عن مسيحيتي ، وبين شفتي لفافة تعلن انني غير صائم ، مع ان الشهر كان رمضان المبارك ، بل دخلت في غير وقت الافطار مطاعم اكلت فيها الفول والطعمية وجلست في مقاهي شربت فيها القهوة ، فما وجدت احدا عرض لي بكلمة زجر ، أو حدجني بنظرة انكار . بل كنت في

كل مكان ألقى بشاشة ولطفا، يلبي طلبي الخادم في المطعم أو المقهى، ويقف عابر الطريق مهتما حين استوقفه لاسأله بلهجتي غير المصرية ، واللفافة بين شفتي ، ان يدلني على شارع أجهل الطريق اليه . وكم فتشت عن قبطي يحدثني ان معاملته قد أسيئت لانه قبطي، فلم أجد، معاني لقيت عددا من الاقباط تختلف آراؤهم في عهد مصر الجديد ولكنهم متفقون على هذه الحقيقة ان القانون في مصر يطبق بالمساواة على جميع المصريين .

بلى لقيت لبنانيا مسيحيا ـ اعتذر عن ذكر اسمه ـ طفق يحتج وينعي لان الدستور المصري قد جعل دين الدولة الاسلام ، ولان التعليم الديني الاسلامي قد ادخل على مدارس كانت حرة في ان تعلمه ، او لا تعلمه ، في جملة المواد . فلم يستطع ان يقنعني اي ضير ، او اي اجحاف ، في ان ينص دستور دولة ، اكثريتها من المسلمين ، على ان دينها هو الاسلام ، ما دام لاهل الاديان الاخرى ملء الحق في ان يمارسوا اديانهم . ثم لم يستطع ان يقنعني اي ضرر في ان يعلم غير المسلمين من المواطنين ما هو الاسلام ، فتزول من عقولهم آراء بعيدة عن ان تنصف دينا كريما وأوهام مؤذية، لانها توقع النفرة والريبة بين المواطنين وتعكر الماء ليصيد فيه المستعمرون صيدهم الخبيث . وضربت له مثلا ان احد الطلاب سألني مرة : هل يؤمن المسلمون بالحياة الآخرة؟ فحين يبلغ جهل المواطن بل تجهيل المواطن، بدين مواطنيه الآخرين هذا الحد المثير فاني اول من يقتنع بوجوب تعريف كل مواطن بدين مواطنه الآخر تعريفا يسد السبيل على العابثين بعقول الناشئة مثل هذا العبث المخزي.

واما ان مصر تغيرت على لبنان او اصبحت تضيق صدرا باللبنانيين ، فادعاء باطل لا يقره ـ وليسمح لي ان اكون صريحا ـ الا الذين اختلط عليهم لبنان ببضعة افراد ، واصبحوا يعتبرون كل تعرض لهؤلاء الافراد تعرضا للبنان !

« اننا نريد لبنان مستقلا حقا » ـ هذا ما كنت اسمعه من كل مصري . « ونحن واثقون من أن لبنان حين يكون مستقلا حقا ، لا يشارك من قرب او بعد في المؤامرة لعزل مصر وسوريا ولطعن الحركة التحررية العربية في الجانب او في الظهر ، لانه عندئذ يطعن نفسه ، وينتهي بأن يقع فريسة سهلة لاسرائيل وللتلاعب الاستعماري بمقدراته » .

فأي تعرض للبنان في هذا الكلام ؟ انه الغيرة كل الغيرة النزيهة ، على لبنان وكيانه !

بل اي تعرض للبنان في ان يهاجم الذين يريدون التحول بلبنان عن هذا النهج القويم ؟ ان هؤلاء ايا كانوا لن يفلحوا في ان يجعلوا لبنان «موئلا للقيم» كما يزعمون ، أو « حصنا ضد المبادىء الهدامة » بل سيعزلونه عن الشعوب العربية ويزجون به في لعبة خطرة بين الشرق والغرب لا طاقة له باحتمالها .

ان احدا لم ينكر على لبنان ان يوطد له صداقات خاصة بين الدول العظمى ، وان يتلقى منها المساعدات ، ولكن الشرط الاساسي في هذه الصداقات والمساعدات ان تبرأ من كل قيد يدفع بلبنان الى المحرقة . ان لنا رأيا في النظام الاميركي القائم على رأس المال ، ورأيا في النظام الشيوعي السوفياتي ، ولكننا نؤمن بحق الاميركيين ان يكون لهم نظامهم الذي يؤثرون ، وبحق للسوفيات ان يكون لهم نظامهم الذي يفضلون ، فاذا عمدوا الى التطاحن ليفرض فريق منهم ارادته ونظامه على فريق قلنا : لا دخل لنا في هذه اللعبة التي سترتد في نحر من يلعبها . وكل دولارات اميركا لا تسوى شيئا اذا كانت تعني علفة للنعجة في سبيل سوقها الى الذبح !

واما ان حكام مصر قد انجرفوا انجرافا في تيار الشيوعية فان من له ادنى ذرة من ضمير يعلم كذب هذا الزعم ويعلم القصد من وراء هذا الكذب الخبيس . لماذا تكون مصر شيوعية اذا تاجرت مع الصين الشعبية ولا تكون بريطانيا شيوعية اذا تاجرت مع هذه الصين الشعبية نفسها وعدت انتصارا لها ان الميزان التجاري بينها وبين هذه الدول في ارتفاع ؟ واميركا التي «تكافح الشيوعية» لماذا لا تحجز عن الماريشال تيتو الاسلحة والماريشال تيتو شيوعي ولا ينفي شيوعيته انه قد استعمل حقه وحق وطنه في الاستقلال عن موسكو وغير موسكو ؟ يبدو ان الدول الغربية لها تعريف خاص للشيوعية انها هي كل ما خالف ارادتها الاستعمارية !!!

ليس في مصر ايسر دليل على ان حكامها أو شعبها يسيرون في تيار الشيوعية . ولكن ثمة تمسك بصداقة الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ويوغوسلافيا والمانيا الشعبية تفيد مصر وتقويها ، وهي لا تزعج المستعمرين الا بمقدار ما تفيد مصر وتقويها ، لان المستعمرين ليسوا أقل كرها لاستقلال مصر وسيادتها ، ولاستقلال الشعوب المستضعفة ، منهم للشيوعية .

وبعد ، فكيف تكون مصر من جهة منجرفة في تيار الشيوعية ، ثم هي من جهة اخرى تنتهج سياسة « تعصب اسلامي » كما يدعي الذين ينسون ان زمن العبث بعقول الناس قد ولى ، فيقعون في التناقضات المضحكة ؟!

يبقى الزعم ان المعارضة تشتد في صفوف الشعب المصري، لحكامه الجدد ولكن الديكتاتورية تقمعها .

وهنا يتجلى بصراحة كضوء الشمس ان الذين يقولون

تاريخ اسبانيا الاسلاميه

المؤرخ الاندلسي لسان الدين بن الخطيب

تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال

صدر عن دار المكشوف ، بيروت

هذا القول انما يفكرون على اساس تمنياتهم . والواقع ان الاعتداء الاحمق الفاشل على مصر قد كان من اهدافه الاثبات للشعب المصري ان السير وراء حكامه يكلفه حقد المستعمرين وغضبهم العنيف . ولكن ذهل المستعمرون عن ان تضايقهم من حكام مصر الجدد هو الذي زاد في تحبيب هؤلاء الحكام الى الشعب المصري ! ولن انسى ما اجابني به عامل مصعد في احد الابنية حين قلت له مختبرا : ان سياسة عبد الناصر قد كلفتكم غاليا ، هاجمتكم الدول ، واتهمتكم التهم ، وطوقتكم اقتصاديا . فقال : ليست هذه سياسة عبد الناصر ، انها سياسة مصر . ونحن نعلم ان الدول المعتدية ستهاجمنا في كل حال نصر فيها على سيادتنا واستقلالنا . انهم لا يريدون مصر سيدة مستقلة ، ولا العرب احرارا اسيادا في بلادهم ! « اولاد الكلب دول » يعترفون بان القناة لمصر ، ثم يهاجموننا لان مصر اخذت القناة . يرضوننا بالاقوال ، ويسيئون الينا بالافعال ، كاننا أطفال !

الواقع ان حكام مصر الجدد لم يكونوا في يوم اقرب الى قلب الشعب المصري منهم اليوم. والواقع ان عامل المصعد قد عبر عن ادراك جديد دخل في وعي الشعب المصري . فلقد اصبح المصريون يحسون ان ليس المراد عبد الناصر اليوم، او سعد زغلول بالامس ، او محمد فريد او مصطفى كامل او عرابي او محمد علي ، وانما المراد استعباد مصر ، وكل ما عدا ذلك فحجج وذرائع تلفق وفق المناسبات . وشهادة التاريخ تؤيد الشعب المصري في هذا الاستنتاج الذي انتهى اليه . فيوم ثار محمد علي على سلطنة « الرجل المريض » فحاربها واراد احتلال الاستانة ، لم تكن في العالم شيوعية ، ولا كان محمد علي مرتميا في احضانها ، ولا كان يشكل خطرا على النظام الملكي ، ومع ذلك احتشدت الدول لمحاربته لانها كرهت ان تقوم دولة فتية في حيث تحتضر دولة الرجل المريض .

الشعب المصري ، هذا الشعب المرح الطيب المحب ، قد قطع اليوم مرحلة جديدة نحو المزيد من الوعي المركز . انه يقدر الصعوبات التي تحيط به ، ويعلم ان كثيرا منها قد تراكم منذ عصور وعصور ، فليس المسؤول عنه عبد الناصر أو غيره من حكام مصر الجدد. ويعلم الشعب المصري فوق ذلك ان المشقة والتضحية والحرمان لا بد منها في معركة الحرية والسيادة والكرامة ، بل يعلم انه قد عانى في تاريخه كثيرا من المشقة والتضحية والحرمان في سبيل لا شيء، فهو سعيد اليوم ان يعانيها في سبيل حريته وسيادته وكرامته مع حكام لا تعوزهم النية الصالحة ولا الفهم المستقيم .

لقد طرح الشعب المصري وحكامه الجدد طرحا رصينا قضايا جدية عظيمة في تاريخ الشرق العربي ، ولاول مرة منذ اجيال طوال ! وبعد ان كانت كلمة الشعب في الشرق العربي « لفظا » استعير في اكثر الاحيان من قاموس السياسة الغربية ، الا انه لا يمثل قوة فاعلة ، اصبحت كلمة الشعب في تاريخ العرب بعد اليوم قيمة من القيم التي لا يستطيع الساسة المحليون ولا الساسة العالميون الا ان يقفوا منها موقف الاحترام والتهيب .

اني اعود من مصر متفائلا واعمق ايمانا بمصير حر حقا للبنان والعروبة . اعود من مصر واثقا بان التجربة الجديدة فيها ستنتصر على العقبات والتهويلات جميعها ، ستنتصر على مؤامرات الغرب واسرائيل وبعض الساسة العرب الذين لا اجد ما اصفهم به سوى انهم من سقط المتاع .

ولعل انكد عقبة تعانيها مصر اليوم ان تجد الوسائل الكافية لتبني قوة عسكرية دفاعية تواجه بها كل عدوان محتمل ، ولتنشىء سدها العالي فتخلق من الارض مدى حيويا يفتقر اليه الشعب المصري افتقار الكائن الحي الى الهواء الطلق .

وان في الفوز الذي حققته مصر باستعادة قناتها لخطوة كبيرة نحو هذا الهدف القومي العظيم .

وان من الاجرام بحق لبنان او اي شعب عربي آخر ان يعير نفسه اداة للضغط الاستعماري على مصر . وليس قولي هذا غيرة على مصر بمقدار ماهو غيرة على لبنان نفسه. فما يصح اليوم أو غدا الا ان يسجل التاريخ ان لبنان، بأبناء شعبه الذين لا ينطقون عن الهوى ، قد كان الى جانب مصر وان احاطت بسلوك بعض حكامه الريب .

رئيف خوري

صدر عن : دار صادر ودار بيروت

رسائل اخوان الصفاء

الجزء الاول

*

الطبقات الكبرى

لابن سعد

*

معجم البلدان

الاجزاء ١٨ — ١٩ — ٢٠

*

لسان العرب

نسخة كاملة ٦٥ جزءا